مشكلة الاغتراب الاجتماعي في المكان الضد
قراءة في رواية "الحيّ اللاتيني"

الدكتور حامد صدقي*
عبدالله حسيني**

الملخّص

يشير مفهوم الاغتراب إلى الحالات التي تتعرّض فيها وحدة الشخصية للانشطار، أو للضعف والانهيار، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتمّ في داخلها، أو في داخل المجتمع. ومن هذا المنطلق فإن العقد النفسية والقلق المستمر وعدم الثقة بالنفس تشكل صورة من صور الأزمة الاغترابية التي تعتري شخصية البطل في رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس. ثمّ تحاول هذه المقالة أن تجيب على سؤالين هامين: الأول: ما الاغتراب الاجتماعي، وما هي أهم أشكاله؟

والثاني: ما هي أهم أنماط الاغتراب المنعكسة في شخصية البطل في الحي اللاتيني؟

ويهدف هذا البحث إلى دراسة مشكلة الاغتراب الاجتماعي وأهم أشكاله التي تعيشها شخصية البطل في الحي اللاتيني. إن الشعور بالاغتراب، الموازي هنا لافتقاد الهوية لدى البطل الذي انفرد في البحث عن هويته بين قيم الشرق وقيم الغرب، متوصلا إلى تحقيق فرديته عبر مصالحة بين الشرق والغرب من جهة، وبين الماضي والحاضر من جهة أخرى، في سبيل هويّة عربية غير منقطعة عن الماضي. وبذلك قد أتاح لبطل "الحي اللاتيني" قدرة القبض على هوية صلبة قادرة على الارتقاء بالمستقبل. والمهم أن تحليل مشكلة الاغتراب الاجتماعي في شخصية

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة تربيت معلم.
** طالب الدكتوراه فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة تربيت معلم.
تاريخ الوصول: ٨٩/٨/٣٠ تاريخ القبول: ٨٩/١١/١٠

البطل في هذه الرواية المبدعة ظلّ مهملا أو شبه مهمل، ولم نجد – في حدود ما قرأنا – دراسة كُرّست لهذا الجانب من البحث.

كلماتمفتاحية:سهيل ادريس، الحياللاتيني، الاغترابالاجتماعي، المكانالضد.

المقدّمة

يهدف هذا البحث إلي دراسة ظاهرة «الاغتراب الاجتماعي» التي تعيشها شخصية البطل في رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس،و هو من أعلام الروائيين في لبنان، ويقترن اسم سهيل إدريس أكثر ما يقترن بكتبه الروائية: *الخندق الغميق*، و*الحي اللاتيني*، و*أصابعنا التي تحترق*. ويقترن كذلك بمقالاته في الأدب والفكر القومي عموما. كما يقترن اسمه بمجلة الآداب التي مثّلت، منذ ظهورها في الخمسينات من القرن الماضي، منبرا فكريا رفيعا للأدباء العرب وشعرائهم المجدّدين.

ولعلّ في حياته بقعة من الضوء كشفت اغترابه وانتقاله إلي أدبه. فقد ولد سهيل إدريس في بيروت (حي الخندق الغميق) سنة ١٩٢٣، من أب تاجر ويرتدي الزيّ الدينيّ: «ولدتُ سنة ١٩٢٣، وفي رواية أخري سنة ١٩٢٤، من أب تاجر يرتدي الزي الديني...»[١]. وحين أصيب في تجارته، شغل وظيفة إمام في مسجد «البسطة» في بيروت ،ومن أم أصابت قسطا من الدراسة والثقافة تنتسب إلي عائلة بيروتية عريقة هي عائلة غندور: «وأمّي تنتسب إلي عائلة بيروتية هي عائلة "غندور"»[٢]وقد قضي في كليّة فاروق الشرعية خمس سنوات صادف انتهاؤها قيام الحرب العالمية الثانية. ودخل سهيل إدريس كلية الحقوق ولكنه فشل في دراسته لانشغاله بسبب وضع أهله المادّيّ المتدهور. وفي عام ١٩٤٩ هجر الصحافة (العمل بصحيفتين هما جريدة "بيروت" ومجلّة "صياد") وسافر إلي فرنسا بعد أن حصل علي منحة من

١- سهيل الشملي، *البطل في ثلاثية سهيل ادريس*، ص ١٢٩.

٢- المصدر نفسه، ص ١٢٩.

وزارة التربية. وبقي في باريس ثلاث سنوات أعد فيها ديبلوم الصحافة العالي وكتب رسالة دكتوراه أشرف عليها المستشرق «بلاشير» وهي بعنوان «*الرواية العربية الحديثة من ١٩٠٠ إلي ١٩٥٠ والتأثيرات الأجنبية فيها*»[١].

وعاد إلي بيروت في صيف ١٩٥٢ وبدأ يهيِّئ الظروف لإصدار مجلة «الآداب التي ظهرت فعلا في مطلع سنة ١٩٥٣ عن «دار العلم للملايين» وتولّي هو رئاسة تحريرها. «فقد انبري الفتي العائد من فرنسا لتأسيس المجلة التي اتسعت صفحاتها لكلّ صعاليک العرب وسارقي نار اللغة الجديدة. بدءاً من بدر شاكر السياب والبيّاتي والحيدري ونازک الملائكة وصلاح عبدالصبور وعبدالمعطي حجازي، وحتي الأرتال المتأخرة من جيلي الستينات والسبعينات.»[٢]

ورغم فرادة المجلة وتنوعها و جدّتها، فإن من الظلم أن لا نري من سهيل إدريس سوي دور المحرِّض والمحرّک والمنشِّط الثقافي. ذلک أن دوره الريادي في تأسيس الرواية العربية ونهوضها لايقلّ عن أدواره الأخري، و لعل سبب اختيارنا لسهيل إدريس يرجع إلي قول فيصل درّاج: «علي أن الأبسط في تقويم إدريس إنما هو الوقوف أمام وجوهه المتعددة: فهو الروائي الذي احتفي المثقفون الشباب، ذات مرّة، بعمله الجريء الأول، الحي اللاتيني، الذي أيقظ في الشباب الحالمين صورة الثقافة في جامعات باريس، وصوّر مناخ متحرّرٍ يخلّص المكبوتَ الشرقي من حرمانه. وهو المترجم الذي احتفل طويلا بجان بول سارتر، ثم ابتعد عنه. وهو اللغوي المجتهد الذي وضع قاموسا فرنسيّاً–عربيّا ممتازاً، وعمل سحابة عقود علي معجمين عربي–فرنسي، و عربي–عربي. وهو صاحب السيرة الذاتية الذي اقتفي، سهوا ربما، آثار طه حسين في غير مكان. وهو صاحب مجلة الآداب، التي كان النشر فيها شهادة و امتيازاً. وهو صاحب دارالآداب، التي فتحت عقل

١- سهيل الشملي، *البطل في ثلاثية سهيل إدريس*، ص ٢٤.

٢- شوقي بزيع، *رسم عن رحيل سهيل ادريس أوالموت بالتراضي*، ص٦ .

القارئ العربي علي الثقافة العالمية، وهو...»[١] وفي هذه المقالة نريد أن نناقش مشكلة الاغتراب الاجتماعي في شخصية البطل في *الحي اللاتيني* لسهيل إدريس. فرواية *الحي اللاتيني*، بتقنياتها الجديدة، وطروحاتها الانسانية والحضارية، وأُسلوبها الواقعي الرشيق، هي إحدي العلامات السردية الفارقة، ليس في زمنها وحسب، بل في الأزمنة اللاحقة لصدورها أيضاً. وسبب اختيارنا لموضوع الاغتراب الاجتماعي في هذه الرواية يرجع إلي أن أسئلة الهوية والحب والمنفي والمكان وعلاقة الأنا بالآخر التي طرحتها رواية إدريس هي نفسها الأسئلة الماثلة أمام جيلنا الحاضر والتي ستنتقل عدواها إلي الأجيال اللاحقة، «فهي، علي نحو ما، رواية جيل. كذلک هي المزيج من الرغبة والطموح والنوستالجيا القومية والتفاؤل الذي كان ركيزة لما يمكن أن نسميه آنذاک بـــ"الحلم العربي" وقد آلي سهيل إدريس علي نفسه أن ينشر هذا الحلم.»[٢]

ولعلّ أهمية البحث تكمن في طموحه إلي الكشف عن حالات اغتراب الشخصيات المتعددة وأسبابها والتقنيات الفنية التي وظفت لبناء نفسياتهاالمغتربة ورد فعلها تجاه عوامل اغترابها. ومن الملحوظ والملفت للانتباه في رواية سهيل إدريس ظاهرة الاغتراب الاجتماعي بوجوهه المختلفة و هي علي درجة كبيرة من الأهمية، تتمثل في وجود وسلوک شخصيات إشكالية، تعيش واقعا مُرّا خارج الوطن (باريس)، كشخصيات «صبحي»، «عدنان»، «سامي»، شخصية البطل، «فؤاد»، «جانين» وغيرهما من الشخصيات. فأثارت هذه الظاهرة فينا سؤالين حاولنا إجابتهما:

أولاً: ما الاغتراب الاجتماعي، وما هي أشكاله؟

والثاني: ما هي أهم أنماط الاغتراب الاجتماعي في شخصية البطل لرواية "الحي اللاتيني"؟

١- فيصل دراج، *سهيل إدريس داخل جيله و خارجه*، ص ١٨.

٢- عباس بيضون، سهيل إدريس ...أكثر من رجل لأكثر من مهمة، ص٣٥.

وسنحاول في البداية أيضا أن نتناول «مفهوم الاغتراب» لغة و اصطلاحاً، مع إلقاء الضوء علي السؤالين الآنفين.

الاغتراب لغة

الاغتراب Alienation هو "الابتعاد عن الوطن، «معني غرب: ذهب، ومنها الغربة أي الابتعاد عن الموطن.»[١]، فبذلک ترد الكلمة العربية «غربة» في المعاجم العربية لتدل علي معني النوي و البعد، فغريب أي بعيد عن وطنه، والجمع غرباء والأنثي غريبة. والغرباء هم الأباعد. وعند هيجل «هو العالم الموضوعي الذي يمثل الروح المغتربة، وغاية الفلسفة أن تقهر هذا الاغتراب عن طريق المعرفة وتقدم الوعي،وعدّه ماركس، متأثرا بهيجل،فكرة أساسية، ونخلص في أن يفقد الإنسان ذاته، ويصبح غريبا أمام نفسه، تحت تأثير قوي معادية، وإن كانت من صنعه كالأزمات والحروب»[٢] وإذا كانت نظرية ماركس الاغترابية تشكل منطلق التحليل الكلاسيكي في ميدان الضياع والاستلاب والاغتراب فإن الأبحاث السوسيولوجية والسيكولوجية الجديدة حول المفهوم ذاته لاتقل أهمية وخطورة. وهناک دلالات تحمل معني الغربة والاغتراب وبذل المشقة فيالقرآنالكريم، منها:

١- الخروج من الدار: قال الله تعالي في سورة البقرة: «ثُمَّ" أنتم هؤلاء تقتُلوُن أنفُسَكُم وَتُخرِجونَ فريقاً منكُم مِن ديارِهِم»[٣].

٢- الهجرة: في سورة النساء: «ومَنْ يَخرج مِن بَيته مُهَاجراً إلي اللهِ ورَسولِه»[٤]

٣- النفي: قال الله تعالي في سورة المائدة: «أَو يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ»[٥].

١- الرازي، *مختار الصحاح*، ترميم محمود خاطر، ص٧٠.

٢- توفيق الطويل و سعيد زايد، *المعجم الفلسفي*، ص ١٦.

٣- سورة البقرة، الآية ٨٥.

٤- سورة النساء، الآية ١٠٠.

٥- سورة المائدة، الآية ٣٣.

فالاغتراب هو «حالة تضع الإنسان خارج ذاته، تحت تأثير نسق من العوامل التي تعيق إنتاجية الإنسان، وتعطل عملية الإبداع لديه، وتدمر إمكانيته في التعبير الحر عن وجوده، فتمنع عليه ازدهاره وتفتحه الإنساني.»[١]

الاغتراب الاجتماعي مصطلحاً

أما الاغتراب الاجتماعي (Social Alienation) فيري أرسطو في كتابه «السياسة» أنه يشمل كل من كان غير قادر علي العيش في المجتمع، أو لا حاجة به لذلک لأنه مكتف بنفسه، فهو إما وحش أو إله. فيردّ بذلک انعزال الفرد عن مجتمعه إلي الدوافع الإنسانية، أو الأنا العليا والسفلي التي تناولها بعد ذلک «فرويد» ولم يكوّن أرسطو فلسفة خاصة حول نظرية الاغتراب الاجتماعي.

أما "ماركس" فيري أن اغتراب الإنسان عن البشر الآخرين «يرتبط أيضا بالمفاهيم السابقة عن اغتراب الإنسان ذاته، فإنه يواجه الآخر، وما ينطبق علي علاقة الإنسان بعمله، وناتج عن عمله، وذاته ينطبق أيضا علي علاقته بالإنسان الآخر، وبعمله وموضوع عمله.»[٢]

ويري إريک فروم أن «جوهر مفهوم الاغتراب هو أن الآخرين يصبحون غرباء بالنسبة للإنسان، فالمرء لايستطيع أن يربط نفسه بالآخرين ما لمتكن له ذات أصيلة ، وإلّا سيفتقد العمق والمغزي.»[٣]

أما بالنسبة للحرية فتمتع الشخص بها واستلابها من مسببات اغتراب الفرد علي حد سواء، فكون الحرية من مسببات اغتراب الفرد إن تمتع بها، ذلک أنها من الروابط التقليدية، مع أنها تعطي الفرد شعوراً جديدا بالاستقلال فإنها في نفس الوقت تجعله يشعر بالوحدة والعزلة، وتشحنه بالشک والقلق، وتوقع به في خضوع جديد

١- *أ.د. علي أسعد وطفة، الاغتراب خارج حدود الايديولوجيا*، ص ٢٢.

٢- حسن حماد، *الاغتراب عند إيريک فروم*، ص ٦٢.

٣- ريتشارد شاخت، *الاغتراب*، ترجمة، كامل يوسف حسين، ص ١٨٣.

وفي نشاط ملزم وغير رشيد. ويعد الاغتراب في الأدب من «أول مظاهر الاغتراب في حياة الأديب كما يبدو في انعزاله عن مجتمعه؛ أي بمعني إحساس الأديب بالمنافسة التي تفصله عن مجتمعه في مجال القيم»[١] أماالرواية فتعدّ جنسا أدبيا تظهر فيها حياة الاديب وكمظهر من مظاهر الشعور الجمعي و في الواقع الاغتراب الاجتماعي في الروايات هو من إحالات اجتماعية في الرواية بصفة «شكل ثقافيّ مدمِّج incorporative شبه موسوعيّ، فيه تُحزمُ آليةٌ حَبَكية شديدة الضبط ونظام كامل من الإحالات الاجتماعية...»،[٢] إذن من الطبيعي أن هذا يشمل أشكال الاغتراب الاجتماعي، منها: اغتراب الفرد عن الأسرة، اغتراب الفرد عن الأقارب،وعن المجتمع وقيمه وغيرها.

ملخّص الرواية

تبدأ رواية "الحي اللاتيني" بالكلمات التالية المترعة بالدلالات: «لا ما أنت بالحالم، وقد آن الأوان لک أن تصدّق عينيک. أوَما تشعر باهتزاز الباخرة، وهي تشقّ هذه الأمواج، مبتعدة بک عن الشاطئ، متّجهة صوب تلک المدينة التي مافتئت تمرّ في خيالک، خيالا غامضا كأنّه المستحيل؟ لا، ليس هو بالحالم»[٣].

أول شيء يَخطر ببالنا، أنها رواية تبدأ بعلامات التحرّر من الماضي، ليس فقط لأنَّ منديلَ الوداع الذي يلوّح به البطل لأسرته عندما تبحر السفينة من ميناء بيروت يُفلت من بين أصابعه ويحطّ علي صفحة الماء، وكأنَّه لايودِّع أسرته وحدها بل يودِّع الوداع نفسه، «إنّها رواية الميلاد الجديد، وتأسيس الشخصية الفردية الجديدة في مجتمع لم تتأسس فيه الفردانية بمعناها العميق»[٤]. تقول الرواية: «وللمرة الأولي

١- قيس النوري، *الاغتراب مصطلحاو مفهوما و واقعا*، ص ٢١.

2- Said, Edward, *Culture and Imperialism* , p 71.

٣- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٥.

٤- حافظ، صبري، سهيل إدريس، *من الحي اللاتيني إلي الآداب*، ص ٢٠.

منذ بدأ يعي، شعر بقوّة هذه الإرادة التي تعصف بوجوده في أن يولد من جديد»[١].

يغادر بطل الرواية بيروت، مدينة الكبت والحرمان كما يري، ويقصد باريس ليتحرّر من عقدة الحرمان والخوف من المرأة، وهناك يكابد نزعتين متناقضين: النكوص إلي الماضي والتشبث بصورة الأمومة التقليدية، ثم الانفتاح علي الحاضر والمستقبل والإقبال علي الأنوثة بوصفها سبيلا للتخلص من التبعية والجمود. وأما بطل الحي اللاتيني الغُفل، فشاب لبنانيّ في بداية العقد الثاني من العمر، يغادر بيروت عام ١٩٤٩ ليدرس في السوربون... أو هو، بالأحري، لايعرف تماماً سبب مغادرته. ولكنه حين يصل إلي الحي اللاتيني يتمكّن من معرفة السبب: إنه المرأة. غير أن بحثه عنها لايحالفه النجاح خلال الشهور القليلة الأولي، تعاملت الشخصية المحورية(البطل) مع بطلات مختلفات في باريس،هن «فتاة السينما، وفتاة الرصيف، وليليان، ومارغريت تعاملا فاشلا تنم عن تجربة وعلاقة ناقصة، ويعيش العزلة داخل نفسه ويواري الفشل الذريع الذي أصابه من المرأة بينما ينجح معها كل من صبحي وعدنان. ثم أنَّه يبتعد عن صديقيه ويقترب من «فؤاد»، شابّ سوريّ تعرّف عليه البطل في مطعم «لوي لوغران»، وهو قدم إلي باريس سنة ١٩٤٧ وهمه الأول هو المرأة فصارت في ما بعد أحد همومه. وجد البطل في «فؤاد» بعضا من قلقه ولاحظ عنده هدوءاً أو عمقا في التفكير، وشعوراً بأهم القضايا القومية. وفؤاد في الحي اللاتيني «أكثر من مجرد صديق. انه المناضل ، رمز النضال وروحه. المثال الذي علي مثله يجب أن ينحت كل شاب عربي»[٢] ويطرح فؤاد في قوله فكرة استعمار مخيف، هو الاستعمار الاقتصاديّ الصهيوني واليهودي، ومدي سيطرته علي الفكر العربي؛ وهذا النوع الاستعماري، أكثر خطورة من الاستعمار العسكري إذ تفرض الدولة المستعمرة، نفوذها وسيطرتها، عن طريق تقديم المساعدات الاقتصادية والمالية، فتوجّه المرافق الحيوية وسياسة البلاد التي

١- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني* ،ص ٥.

٢- جورج طرابيشي، شرق وغرب ...رجولة وأنوثة، ص ١٠٤.

تساعدها، الوجهة التي تريد. فلليهودية والصهيونية أعداء في فرنسا وأوروبا بشكل عام، وما علي العرب، إلّا أن يتجاوزوا عقدة السيطرة الصهيونية التي عبَّر عَنها فؤاد بقوله: «هذا صحيح، ولكننا سنظلّ مقصّرين في هذا السبيل، ولو بذلنا ملايين الفرنكات، مادام اليهود هم الذين يستولون، برؤوس أموالهم علي أهم المرافق الفرنسية»[١]، فمازال البطل يندم علي ترک بلاده ويقضي أيامه مع أصدقائه: صبحي، عدنان و فؤاد وهو يبحث عن المرأة، إلي أن يلتقي جانبين. ثم تنقطع علاقته السعيدة، ولكن ناقصة، بها حيث يعود إلي بيروت لقضاء عطلة فصل الصيف. وفي بيروت، في أحضان عائلته القوية الأواصر، يتلقّي رسالة منها تُعلمه فيها بحَملها، فيُصدم، لكنه يُذعن لضغط والدته. «إن هذه الأم –الماضي– الشرق، تطبق علي عقل البطل وضميره، وتجعله يكتب إلي «جانبين» الرسالة الخيانة التي أشعرته فيما بعد، بالذل والجبانة، وشاركت «ناهدة» الأم في تمثيل الماضي»[٢] وهي «الحلّ الذي تقدمه التقاليد أو المجتمع أو الأنا الأعلي ليصرف البطل عن خروجه عليه. هي الرشوة التي يقدمها، لكي يندمج من جديد في مجتمعه، وينسي فرديته»[٣]. البطل ينكر أن يكون الجنين منه. غير أنّه لايلبث أن يندم علي كذبه، ويتمرّد علي إذعانه، ويعود إلي باريس سريعا ليقترح علي جانين الزواج. ولكنَّها لمتعد حيث كانت، وليس ثمّة مَن يساعده في العثور عليها. فيقرّر أن يكرّس حياته لدراساته في الأدب، ولرفع الوعي السياسي لدي زملائه الطلّاب العرب. وقبيل عودته النهائية إلي بيروت يعثر علي جانبين، وقد غدت "امرأة ضائعة" فيطلب الزواج منها، ولكنَّها ترفض طلبَه، قائلة له:

«لا يا حبيبي، لسنا علي صعيد واحد. لقد وجدتَ أنت نفسک بينما أضعتُ أنا نفسي. فكيف تريدني أن أستطيع السير إلي جانبک، قَدَماً واحدة، في الطريق الشاق

١– سهيل إدريس، الحي اللاتيني، ص ١٦٧.

٢– جورج أزوط، سهيل إدريس في قصصه و مواقفه، ٩٧.

٣– يوسف الشاروني، الحي اللاتيني عرض و تحليل، ٥٨ .

الذي ستسلك؟ إنّني لا أنتمي إلي جيلكم، جيلک وجيل فؤاد وربيع وأحمد وصبحي وعدنان»[١]. وتطلب جانين من البطل الرجوع إلي جميع أجياله السابقة و إلي شرقه وماضيه ومجتمعه وتقاليده لكي يتناول قضايا الانسان العربي في إحياء القضايا والعناصر القومية لدي الشبان العرب الضائعين، الذين يفتشون عن ذواتهم بأنفسهم علي مقاعد الجامعات، في المقاهي والمتنزهات العامة وبين ذراع النساء: «عُدأنت يا حبيبي العربيّ إلي شرقک البعيد الذي ينتظرک، ويحتاج إلي شبابک و نضالک...جانين»[٢]. وفي الأخير يعود البطل إلي بيروت حاملا شهادة الدكتوراه في الأدب العربيّ... والتزاما راسخا بقضيّته القومية.

أهم أنماط الاغتراب في شخصية البطل

الف) اغتراب البطل عن الأسرة

إنّ من الأمور التي كانت تشغل بال البطل في رواية الحي اللاتيني، هو اعتزال بطل الرواية عن أسرته وأمه التي قلقت كثيرا عليه وتعد الأم من أكثر شخصيات الرواية التي تسببت في الكشف عن حالة الاغتراب الاجتماعي والسلبية والاستغراب في ذات البطل: والتي ينتظر منها دورا محوريا لمساعدة البطل في الخروج من حالة اغترابه: «أنه خطّ أمه، وحين قرأ أول عبارة فيها: "ولدي الحبيب" تفجّرت ينابيع الحنين كلّها في صدره... و وهنت نفسه حين قرأ في رسالة أمه وصف اجتماع للأسرة كان هو فيه مدار الحديث. أي مكان له في قلوب ذويه، وما أحوجه إلي أن يستشعر هنا مثل هذا الحب والتعلّق والإخلاص! لقد كان هناک يشرف علي حدود عالمه، فيعي قيمته فيه. أما هنا، فالعالم ضائع الحدود، بعيد

١- سهيل إدريس، الحي اللاتيني، ص ٢٦٢.

٢- المصدر نفسه.

المسافات، يُحسّ أنّه لايعدو أن يكون فيه أكثر من ورقة جافّة من هذه الأوراق الكثيرة التي تسقطها ريح الخريف عن الشجر.»[١].

إذا ما نظرنا إلي علاقة المغترب بأهالي البلاد التي يعيش فيها، فإننا نجد في واقع الأمر، «أن هذه العلاقة هشّة ميِّتة، لاتعتمد في أصول علاقاتها، علي التساوي، أو كما يقولون، علاقة "الند للنّد".»[٢]، فالبطل في الحي اللاتيني، يشعر دائما بمواطنيه وانتمائه لبلده الذي يعيش فيه، و «الانسان الإدريسي ليس بدائياً فرديا، يهتم ويعني بشؤونه الخاصة، بل هو انسان بيئوي، تشده الأواصر العائلية والاجتماعية والقومية والحضارية، إلي جانب احتفاظه بأقدس قدسياته، أعني ذاتيته»[٣].

وواضح أن بطل إدريس نزّاع لأن يتحمل مسؤوليته علي الصعيد القومي ويشعر دائما بمواطنيه وانتمائه لوطنه الذي يعيش فيه (بيروت)، فهو إلي جانب انشغاله واهتمامه بقضاياه الخاصة، يهتم بقضايا مواطنيه ومجتمعه الضيق، التي لها علاقة مباشرة به. وكأن الكفاح أو النضال القومي العربي والوطني، هو المحقق الوحيد لشرف الإنسان الجديد (البطل الجديد) و أصدقائه كفواد ،كما يقول البطل لفؤاد:

«–لم تحدثني بشيء عن أبناء الوطن– لاأدري.. وجدت غرفتي قد أصبحت أضيق مما كانت. فابتسم فؤاد بسمة هادئة، عميقة، وأجابه: –بوركت أيها العزيز. إن في هذا الشعور إرهاصا بأن دنياك التي كنت تعيش فيها، دنيا ضيقة الحدود: إنك تنشد الآن السعة، وإن هذا لهو شعور الجيل كله، جيلنا. إن كل وطن من أوطاننا ضيق، وإن علينا أن نسعي لتوحيد هذه الأوطان»[٤]. أما في عالم إدريس الروائي،

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١– سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٤٢.

٢ – طالب علي محمد ياسين، *الاغتراب، تحليل اجتماعي ونفسي لأحوال المغتربين و أوصافهم*، ص٢٩.

٣– جورج أزوط، *سهيل إدريس في قصصه و مواقفه*، ص٣٨٢.

٤– سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص٢٣٢.

كانت الأم عماد الأسرة، توزع وجودها في معظم أقاصيصه وروایاته. وأفرد لها مساحات واسعة في «الخندق الغميق»، وفي «الحي اللاتيني».

الأم في الحي اللاتيني.. حريصة علي استمرارية نمط الأسروية الأبوية، التي انتقلت إليها بالوراثة، بوعي منها أو بلا وعي، وهي تسعي لأن تمرّر هذه القيم، عبر «ناهدة»، أو أية فتاة شرقية، كما تقول الأم :«أخشي يا بنيّ أن يصرفک الغرب عنّا... وتخيب أمل أمک الصغيرة بک. إن "ناهدة "تنتظرک يا ولدي... ومع ذلک، فإن لمتكن راغباً في «ناهدة» فهناک «نعمت» و «ثريا» و «هدباء» ابنة خالتک. هناک كثيرات...»[١].

فجلّ ماتخشاه الأم، أن يصرفه الغرب، بقيمه، وقوانينه، وأنظمته، وعلمه، عن شرقيّتها، بقيمها، وقوانينها وأنظمتها. لذا تقدم إليه «ناهدة» كزوجة. ولكن «ناهدة» في الحقيقة، هي الرمز الذي يقدّمه له مجتمعه الشرقي، من خلال سلطة الأم الأبوية، لكي يخضع لتقاليده، وينصرف عن الخروج عليها. وهو «الحلّ الذي تقدّمه التقاليد أو المجتمع أو الأنا الأعلي super-ego، ليصرف البطل عن خروجه عليه، هي الرشوة التي يقدّمها له لكي يندمج من جديد في مجتمعه»[٢]

من اللافت للنظر أن «إقامة الطالب في باريس تتمّ علي مرحلتين تستغرق كل واحدة منهما حوالي تسعة أشهر، وهذه الفترة هي الفترة المقدرة إجمالا للحمل في بطن الأم»[٣]. لايأتي التماثل صدفة بقدر ما يأتي استجابة لمشروع الطالب الولادة من جديد في المكان الضد (باريس) والبداية والاستغراب الاجتماعي من مجتمعه وذاته وأسرته وبصورة عامة من ماضيه. «كفاک هذرا! أنت تنسي مرة أخري أنکَّ في باريس. أخرجها من نفسک، بيروتک هذه. أخرجها، فاقتلها ثم ادفنها. أما

١- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ١٦٢.

٢- يوسف الشاروني، *الحي اللاتيني عرض و تحليل*، ص ٥٩.

٣- سامي سويدان، *المتاهة و التمويه في الرواية العربية*، ص ٨٧.

باريس، فواجهها كما هي...»[١].

فالبطل يخشي مما تحمله القطيعة مع الماضي من قلق واضطراب دون أن يتيسر له وعي الذات الذي يشكّل أساس التمييز بين القلق والطمأنينة. ويمكن القول أن مفهوم اغتراب البطل عن الأسرة ولاسيَّما أمه وأخوته يتحدد في عدم الثقة بالنفس والقلق المستمر والرهاب الاجتماعي والمخاوف المرضية التي نراها في سطور مختلفة للرواية.

«وفيما هو يدلف مع عدنان إلي محطة المترو في «الأوديون»، أخرج الرسائل من جيبه وفضَّ منها رسالة أمِّه. ما أشدّ حاجته الآن إلي إن يتملَّي وجهها الصغير الحلو، ويقبِّل تلك الشامة في عنقها، ويحدِّثها عن مطامحه فيقرأ في بريق عينيها بريق أمانيه!..ما أشدّ حاجته الآن إلي أن يجلس إلي إخوته، فيستمع إلي أخيه الأكبر يسخر بمشاريعه الخيالية، ويحدث أخته ويسألها رأيها في آخر قصيدة له، فتقول : أنّ لابأس بها، ولكن.. كم تمنّي يوما ألا تستدرك أخته بـــ «لكن» هذه.. وإنَّ بودّه الآن أن يعين أخاه الأصغر في ضبط قراءته العربية، وأنَّه ليذكر أنَّ أخاه هذا كان كثيرا مايعود إليه بدفتر الحساب، ليعرض عليه عملية حسابية، فيعتذر هو بأن صداعا يُلمّ برأسه...»[٢].

ومن البديهي أن يتعزّز تيّار التبعية عندما يُمني تيّار التحرر بالفشل. فالماضي يبرز بقوّة بعد أن يتعثَّر الحاضر وتبطل آمال المستقبل ، وآية ذلك أنّ البطل تلقّي رسالة من والدته في بيروت، وإذا به يحنّ إلي الشرق الذي فرّ منه سابقا، ويشتاق إلي دفء العائلة، ونعم الملاذ هي: «أين هو الآن من وجهها الصغير الحلو وعينيها الحانيتين النابئتين حباً وحنانا؟ أين هو من ذلك العالم الصغير الكبير الذي كان يعيش فيه مع أمه وإخوته في ظلّ التعاطف والتفاهم والمودّة؟ بأي ثمن قد ارتضي

١- *سهيل* إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ١٩.

٢- المصدر نفسه، ص ٧٢.

أن يهجر ذلک العالم الذي كانت كل أمانيه فيه تحت متناول يده؟...»[١]. ولسنا ننكر أهمية العائلة في الرواية ولكننا سنري أن البطل «ما إن يفشل في علاقته بالأنوثة حتي يشتاق إلي الأمومة، وما إن يخفق في باريس حتّي يحنّ إلي بيروت، فالثنائية قائمة، ولعلها في أعماق التقليديين الذين يتجاذبهم تيّار الماضي وتيّار الحداثة والتحرّر»[٢].

ولعلّ الاضطراب والقلق المستمر والمخاوف المرضية هي من معالم اغتراب البطل عن أسرته ، ويرجع سببها إلي أن «بطل *الحي اللاتيني* يلتصق أكثر فأكثر بعائلته لكي يواجها معاً "أزمة" الأبويّة الجديدة المحتملة. والحق أنَّه يواجه هذه الأزمة بتبنّي صوت أمه وجسدها»[٣]. فإنّ عودته إلي جسد أمّه محاولة لمحو مستقبله الشخصي الذي يمثّله الجنين في أحشاء جانين (حبيبته في فرنسا) ومع إمكانية نشوء عائلة جديدة للبطل، يصبح إزاء مصدر قوي لقلق أمه (رمز لمجتمعه وشرقه) التي تسعي من خلال سلطتها الأبوية أن تخضع البطل لتقاليدالمجتمع الشرقي وتصرفه عن الخروج عليها وتركها ونسيانها.وفي الواقع تحاول الأم مساعدته للخروج من حالة الاستغراب الاجتماعي وقلقه المستمر باللجوء إلي أصالته الشرقية (ناهدة رمزها) والخروج من أزمته النفسية: «يعود إلي الرسالة: أخشي يا بُنيّ، أن يصرفک الغرب عَنّا. وأخشي فوق ذلک أن تسحرک امرأة من هناک فتقع في شباكها، وتخيَّب أمل أمّک الصغيرة بک. إنَّ "ناهدة" تنتظرک يا ولدي»[٤]. و ربما أن الزواج والمرأة قد احتل مكانة مهمة وسببا محوريا في مشكلة اغتراب البطل لدي سهيل إدريس.

ب) اغتراب الفرد عن المجتمع وقيمه

١- *سهيل* إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٤٢.

٢- د.جان نعوم طنوس، *صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر*، ص ٢٠٩.

٣- كريستن شايد، *الحي اللاتيني بعد ٧٠ ألف نسخة، الجنس، الكذب، الإبداع*، ص ٢٣.

٤- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ١٦٢.

يقوم الفرد المغترب اجتماعيا بالخروج الكلي علي نواميس السائد الاجتماعي، «بل يقوم بمناهضة هذه القوانين دون الاكتفاء بمغادرتها، ويقوم بمحاولة إسقاطها ويخضع ذلک لرؤيتين: إحداهما سلبية والأخري ثورة إيجابية هدفها تغيير القانون الاجتماعي»[١].

ويأتي هذا الكائن الفريد متعدد الأبعاد والأنشطة والرغبات والاهتمامات والانتماءات، إلي العالم مكبلا بعديد من القيود التي لادَخل له فيها ولا اختيار، سواء الوراثية أو الاجتماعية كما أكد المويلحي ما كرره مرارا من «أن ما يوافق الغرب لايلائم عادات الشرق ودينه وتراثه»[٢]. لذلک نري أن رحّالينا (طه حسين، سهيل إدريس، المويلحي، توفيق الحكيم، شدياق وغيرهم) شاهدوا واقع المجتمع الغربي وشعروا بالفروق الشاسعة بينه وبين مجتمعهم الشرقي ولغته وثقافته وعقيدته وعاداته وتقاليده، فأبدوا اعجابهم بمعظم ما رأوا في الغرب. بهذا المعني ينبغي اعتبار لجوءهم إلي الشكل الروائي تدخّلا فاعلا في حياة الناس، ولكن الرواية تقدِّم مقارنة دقيقة للمجتمع العربي والأوروبي في حوار تناصي فهي «أوسع حرّية ومساحة في عرض الحقائق السياسية الاجتماعي، وعلاقات السيطرة المعقّدة»[٣]. لمّا تبيّنت للبطل حدود ثوريّته وضبابيّة رؤيته آثر السفر والهرب من وطنه واستغرب من مجتمعه الذي عايش فيه الكبت والحرمان والقيود، ذلک المجتمع الذي ينكر الفرد المتفرّد، فهو إذا حاول، وهو يغادر أهله ومجتمعه: «أن يضع نفسه في موضعها من حياة مجتمعه، تفاقم شعوره بالتفاهة والفراغ: شيء لا قيمة له، بل لا شيء»[٤]. *فبداية الرحلة لم تكن سيرة*، فالبطل لم يستطع أن يندمج داخل جوّ المجتمع الجديد (باريس)، وشعر بالغربة والوحشة: «لولا أنّ صبحي وعدنان كانا إلي جانبه

١- يحيي العبدالله،الاغتراب، *دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية*، ص ٨٠.

٢- د. نازک سابايارد، *الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة*، ص ٢٣١.

3- Idriss, Samah, *Intellectuals and Nasserite authority in the Egyptian novel* (phd.dissertation), p 13.

٤- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٦.

لشعر بالخوف والتهيّب من أن يتنقّل كذلك في أرجاء الحي اللاتيني»[١]. إذ يحس البطل كشيء غريب، ويمكن القول إنه أصبح غريبا عن نفسه وعن مجتمعه، لذلك يحس البطل حالة الاطمئنان والأمن حينما يري صديقيه العربيين يعني «صبحي» و «عدنان» إلي جانبه. كأنه يعرفهما منذ زمن طويل وما ارتباطه بهما إلا دلالة علي تمسكه بما له صلة بمجتمعه و شرقه. « كان يحس إحساسا عميقا بأنهما مثل أخوين له، يحيطانه بالرعاية ويردّان عنه كل أذي. وقد استسلم لهما يقودانه حيث كانت أقدامهما تقودهما، وشعر بأن حبّه لهما يتفاقم ويعمق»[٢]. فثلاثتهم ينشدون الحرية والانطلاق في حياة بلا حدود وثلاثتهم يعيشون قلقا وصراعاً داخليّاً ناتجا عن الاغتراب الاجتماعي في باريس الذي كان أشدّ وطأة علي البطل.

ثم تنكشف ظاهرةكبت الحرية الجنسية، فنلمح أن بعض شخصيات سهيل إدريس في الحي اللاتيني تعيش حالة كبت جنسي مثل البطل؛ نتيجة خضوعها لرقابة المجتمع وتقاليده التي تحرم الالتقاء الجنسي إلّا في حدوده المشروعة (الزواج)؛ ولذلك ينعكس ذلك علي تشكل الشخصية؛ إذ تفتقد ثقتها بنفسها، ولاتعود قادرة علي إقامة علاقة مع الجنس الآخر، وتبدأ بالبحث عن بدائل أو ترتد إلي ذاتها، إذ نري في هذه الحالة، حالة ديمومة العقد النفسية التي تعتري شخصية البطل مثل: عقدة أوديب، عقدة الخصاء، عقدة النقص، عقدة الاضطهاد... إلخ التي تؤدي إلي مشكلة الاغتراب عن المجتمع وقيمه وتقاليده: «تودّ أن تنسي هذه الخيبة التي تملأ نفسك الفارغة بالمرارة؟ أسبوع طويل ينقضي، منذ قَدِمتَ إلي باريس، لم تَلقَ فيه إلّا الإخفاق إزاء المرأة. أية امرأة: أسبوع طويل ينقضي، وفي جسدك نار تلتهب، وفي مخيّلتك ألف صورة وصورة لنساء عاريات، متمددات علي السرير، يلسعن فكرك وجسمك بألف لسان من ناره لا، لاتحاول أن تحتجّ أو تنكر. أجل شرقك ذلك، لم يُغرك بالهرب منه سوي خيال المرأة الغربية، سوي اختفاء المرأة

١- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ١٢.

٢- المصدر نفسه.

الشرقية في حياتک، إلّا أن تَطُلّ في بسمة لاتزيد الحرمان إلّا حرمانا. أو أن تشعرک بوجودها بلمسة تائهة، خائفة، بعيدة، تملأ ذاتک بمئة عقدة، وتُميت فيک ثقتک برجولتک، أو أن تسعي أنت إليها حين تشعر تارة بالغربة الروحية مع امرأة لاتعطيک إلّا جسدا فيه برودة الثلج... هكذا عرفت المرأة في شرقک، فعرفت الخوف والحرمان والكبت والشذوذ والانطواء والخيال المريض. عرفت الخيال علي أي حال، فكان لک فيه منجي من نفسک وجوّک ومحيطک ومجتمعک.»[١].

ومازال بطلنا يبحث عن ذاته ويفتّش عن المرأة لا ليختزلها إلي أنثي، إلي مجرّد وسيلة للّذة»[٢]،لأن اللذة الجنسية ليست هدفا في حدّ ذاتها إذ إنّ الحرمان الجنسي الذي يشكوه البطل ليس إلّا جزءا من القلق العام الذي يعيشه، ومصدرا من مصادر الصراع داخل ذاته. فالبطل يبحث عن المرأة لأنّها هي المفتاح الذي يمكّنه من معرفة أغوار الذات وشرقيته وتقاليده الماضية. فالبطل في المرحلة الأولي من حضوره في المكان الضدأو باريس يحاول محاولة لتجاوز الماضي بالإغفال والنسيان. بيد أنّ المجابهة بين الحاضر والماضي تفرض نفسها، حيث يؤكّد الماضي حضوره بقدر مايعرف الحاضر من فشل. هناک ارتداد و توق وحنين إلي الماضي (نوستالجيا) « إلي الأم... وإلي ناهدة...»[٣].

إن اتّخاذ هذه المجابهة يتلائم ومشروع الولادة الجديدة الذي يتبنّاه البطل، فالولادة تقتضي الاتصال الجنسي، كما يتلائم أيضا مع الكبت والقلع والحرمان التي شكّلت العناصر الأساسية في شكواه من الماضي ومجتمعه الشرقي.

«ومن الأمور التي يتغاضي عنها المجتمع فشل رابط الزواج، والذي سنه المجتمع لتطويع هذه العلاقة ضمن إطار يضمن للمجتمع استمرارية تقاليده وسلطاته الذكورية.إذ أصبح رابط الزواج أحد أهم أسباب اغتراب الشخصيات، وقد تستغل

١- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٢٥.

٢- جورج طرابيشي، *عقدة أوديب في الرواية العربية*، ص ٣٠٥.

٣- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٧٤-٧٢.

الأنثي هذه المحددات لصالحها»[١]وهذا مانراه في علاقة البطل الفاشلة بنساء مختلفة من أمثال: ليليان، مارغريت، جانين، ناهدة. «إن ذلک الإحباط الذي عرفه البطل مع المرأة مدّة مايقارب الثلاثة أشهر، لميكن ليحول دون مواصلة بحثه عنها. فالفكرة التي امتلكت ذهنه هي "المرأة" ولميكن إعجابه بصديقه الجديد "فؤاد" ليغيّر الوجهة التي اختارها والطريق الذي سلكه»[٢]. لكن جانين مونترو وهي امرأة باريسية ستُنسي البطل حبّه لشرقه ووطنه «بدأ حب باريس يتغلغل في دمه»[٣]ستُنسيه أول خيبة عرفها مع المرأة وإن سلوک البطل المغترب وتصرّفاته في البلد الذي يحل فيه (المكان الضد أو باريس)، تكاد تغلب عليها أنماط من صفات الحذر والخوف والحيطة وشدّة الترقّب، فهو مراقب ومحاسب علي كل بادرة أو تصرف يصدر عنه، سواء كانت صادرة عن حسن نية، أو عن قصد أو سوء نيّة. هذا ما نراه ماثلا في حالات البطل: «لم يستطع أن ينام، وأغمض عينيه، فلم يستطع أن ينام، ونهض من سريره وهو يحرص علي ألّا يُحدث ضجّة توقظ صبحي»[٤]. وبعض الأحيان نري أن البطل يعارض عادات الشرق و يعتبرها سخيفة دانية حين يودّ سامي (صديقه في باريس) أن يعانقه، يقول : «لا، أرجوک، لا موجب للعناق. يجب أن نقلع عن هذه العادة الشرقية السخيفة»[٥].

نتائج البحث

إن الشعور بالاغتراب الذي طغي علي شخصية البطل في رواية الحي اللاتيني تتشابه تماماً مع شعور "المنفيين"، الذي حدده ادوارد سعيد، ليس فقط أحوال المنفيين

١- يحيي العبدالله، *الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية*، ص٨٢.

٢- سهيل الشملي، *البطل في ثلاثية سهيل ادريس*، ص ٦٩.

٣- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ١١٩.

٤- المصدر نفسه، ص ١٥.

٥- المصدر نفسه، ص ٤٥.

العرب، كحالة فعلية للبطل في الرواية، بل أولئک الذين يعيشون أيضا في مجتمعاتهم، والذين يكونون علي خصام مع مجتمعهم، فهم خارجون ، منفيون من حيث عدم حصولهم علي الامتيازات والأوسمة، أي باختصار حالة انعدام التكيّف مع المجتمع تكيّفاً تاماً. وبهذاالمعني الماورائي، يغدو المنفي بالنسبة للمثقف (بطل الحي اللاتيني) موازيا للتململ والحركة: فلا يستقرّ المثقّف علي حال، ولا يقرّ الآخرين علي حال أيضاً»[١].

في نهاية البحث يمكن القول أن مفهوم الاغتراب الاجتماعي في شخصية البطل الإدريسي يتحدد بالجوانب التالية:

١- حالات عدم التكيّف النفسي التي تعانيها هذه الشخصية وتبرز في:عدم الثقة بالنفس، والقلق المستمر، والرهاب الاجتماعي، و المخاوف المرضيّة، وذكرنا نماذجها في نقد نص الرواية آنفا.

٢- غياب الاحساس بالتماسک والتكامل الداخلي في شخصية البطل، كما يقول البطل في نفسه: «إنّک لاتزال في بحران من وجودک، وينبغي أن تعاني كثيراً قبل أن يستيقظ حسّک الواعي، وإنّ أمامک بعدُ لَهموماً كثيرة تمتحن بها نفسک قبل أن ينضج شعورک وتكتمل أبعاده. فدونک ودون اشتعال هذه الجذوة في روحک وقت طويل في حساب الوجدان، وتجربة عميقة في ميزان الشعور»[٢].

٣- حالة ديمومة العقد النفسية التي تعتري الشخصية: عقدة أوديب، عقدة الخصاء، عقدة النقص، عقدة الاضطهاد...إلخ «وعراه الارتباک، فلم يدر أينبغي له أن يظلّ حيث هو... وزاد هذا الارتباک قلق نفسه و تجهّم روحه، وشعر بمثل العذاب يعصف بذاته كلها. عذاب يحسّ له بألم مادّي في كل أركان جسمه وببرم روحي يزرع الاضطراب في وجدانه»[٣].

١- إدوارد سعيد، *"المثقفون المنفيون، مغتربون وهامشيون"* ، ص ٩٨.

٢- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٨٤.

٣- المصدر نفسه، ص ٤٣.

٤- ضعف أحاسيس الشعور بالهوية مثل: الشعور بالانتماء، الشعور بالجهد المركزي، الشعور بالحب، الثقة بالنفس، الشعور بالقيمة ، غياب الإحساس بالأمن. فنري علي سبيل المثال أن البطل الإدريسي في الحي اللاتيني يضعف فيه الشعور بالحب والإحساس بالأمن حين يواجه مشاكل كثيرة للوصول إلي "جانين" ومازال يسيطر عليه شبح مخيف من التهيب والتردّد والحب، مرة علي نفسه وعلي نفس جانين أيضا و هذه الحالة تتجلي من خلال حديث النفس أو المونولوج أو تيار الوعي أحيانا:

«وكان يحسب أنَّه نجح في هدم ذلک الجدار من التهيّب والحيطة الذي كان قائما بينهما (البطل وجانين مونترو)، إذ فاجأته بالنهوض، وبأنَّ عليها أن تتركه في الحال. يا إلهي! أي مزاج هذا! أيكون هذا التردد والقلق والحيرة هي طبيعتها الحق؟»[١]

فاستخدام البطل للكلمات الدالة علي الاضطراب والقلق والتردّدوالتضاد يوضح حالة الصراع النفسي الذي تعانيه شخصيته وشخصيات أخري من أمثال جانين وسامي في الرواية، كما يبرز لنا من خلاله حالة القلق والتوتر التي يشعرون بها نتيجة غربتهم واغترابهم. فعبّر سهيل إدريس، في رواية *الحي اللاتيني* عن هموم جيله وقلقهم وألمهم، ومدي احساسهم باليأس والذل والضياع، فخرجت تلک المشاعر وذلک الانفعال النفسي من قوقعة الكتمان لما يختزنه في قلبهم من آلام فاض بها، فخرجت تلک المشاعر لتوضح لنا عمق اغتراب هذا الجيل متمثلة في أحاديث البطل مع نفسه والآخرين التي تثير الشجن والألم، خاصة أن الدكتور سهيل إدريس لم يكتف بتصوير همومه واغترابه فقط، بل كان إحساسه أعمق من ذلک بكثير؛ إذ عمد إلي الوصف أو الاحساس الأسري الذي يُعدّ من أهم ما تميَّز به

١- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٩٥.

أدباء جيلي الخمسينات والستينات عن الآخرين. وهذا مايؤكده فؤاد (صديق البطل) في قوله:

«إنهم لايوحون بالنفور وأنت لن تنفر منهم إذا أدركت أنّهم شبّان قلقون، يبحثون عن أنفسهم. إنّنا جميعا، نحن الشبّان العرب، ضائعون، يفتشون عن ذواتهم بأنفسهم»[١].

فأدباء ومثقفون العرب الذين سافروا إلي البلاد الغربية من أمثال سهيل إدريس، طه حسين، الشدياق، المويلحي و توفيق الحكيم و...إلخ، عانوا قلق الاغتراب الاجتماعي عن الأسرة والمجتمع وقيمه، فانعزلوا عن الناس، فكانت عزلتهم تلك هروبا من واقع أليم لايستطيعون التكيف معه، فليجأون إلي الماضي والذكريات و أصالتهم، والحديث عن أشواقهم وحنينهم وقلقهم الذي ينتابهم حين رحيلهم الطويل أو القصير، فوصفوا أسفارهم، وما يواجهون من صعاب ومتاعب علي لسان البطل فكانت نفسهم مملوءة بالألم والاحساس بالغربة، فيبحرون في عالم الأسرة والوطن وقيمه فيتذكرون مواطنهم الأصيلة.

وفي الخاتمة يمكن القول إن المثقفين العرب يواجهون أزمة في تحديد هويتهم، يعني شغل المثقفون، بوصفهم أبطال الروايات أو شخصياتها الرئيسة، مساحة واسعة في النتاج الروائي اللبناني قبيل الحرب.فأطلَّ هذا النتاج علي جوانب مختلفة من التجارب الحياتية الخاصة بهذه الشخصيات بما يشير إلي الخلل الذي يعتري مسيرة المثقفين الحياتية ويسمها بالقلق والتأزم الدائمين ، حسبما أوحي بذلك عدد كبير من الروايات من أمثال رواية *الحي اللاتيني*، و *قنديل أم هاشم* ليحيي حقي،و*عصفور من الشرق* لتوفيق الحكيم، و *موسم الهجرة إلي الشمال* للطيب صالح و حديث عيسي بن هشام لمحمد المويلحي و...إلخ. ونري أن «في بحث المثقفين عن هوياتهم وإن اختلفت أسباب هذا البحث ونتائجه بين روائي وآخر، لكن

١- سهيل إدريس، *الحي اللاتيني*، ص ٨١.

الشعور بالاغتراب جمع بين الشخصيات/المثقفين جميعهم؛ كشعور الشخصية الروائية بأنها غريبة عن شيء أو عن الآخر، سواء أكان هذا الآخر يمثّل مجتمعاً مختلفا كالمجتمع الغربي مثلاً، أو المجتمع عينه الذي تنتمي إليه الشخصية، أو طبقة اجتماعية معينة وصولا إلي الأسرة أو الأصدقاء والمحيط المباشر بشكل عام»[١]. وغالباً ماكان يترتب علي هذا الشعور بالاغتراب انعدام ثقة الشخصية الروائية في قدرتها علي تحقيق الأهداف، أو افتقارها إلي القدرة علي إثبات الذات بسبب بعض المعوقات ذات الجذور الممتدة إلي تكوينها النفسي، أو إلي النظام الاجتماعي و الأفراد المحيطين، أو ربَّما إلي هذه الأسباب جميعها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. إدريس، د.سهيل(٢٠٠٦)، *الحي اللاتيني*، ط ١٤، دارالآداب، بيروت.

٣. أزوط، جورج (١٩٨٩)، *سهيل إدريس في قصصه ومواقفه*، ط١، دارالآداب، بيروت.

٤. بزيع، شوقي (٢٠٠٨)، *رسم عن رحيل سهيل إدريس أو الموت بالتراضي*، مجلة الآداب، العدد ٣.

٥. بيضون، عبّاس (٢٠٠٨)، *سهيل إدريس...أكثر من رجل لأكثر من مهمة*، مجلةالآداب، العدد ٣.

٦. حافظ، صبري(٢٠٠٨) *سهيل إدريس: من الحي اللاتيني إلي الآداب*، مجلة الآداب،العدد٦-٤ .

٧. حماد، حسن(١٩٩٥)، *الاغتراب عندإيريک فروم*، ط١، المؤسسة الجامعيّة، بيروت.

١- رفيف رضا صيداوي، *النظرة الروائية ألي الحرب اللبنانية١٩٩٥-١٩٧٥* ، ص ٥٦ .

٨. درّاج، د.فيصل(٢٠٠٨)، *سهيل إدريس داخل جيله وخارجه*، مجلة الآداب، العدد ٤-٦.

٩. الرّازي (١٩٥٤)، *مختار الصحاح*، ط ٨، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ترميم محمود خاطر.

١٠. سابايارد، د. نازک (١٩٩٢)، *الرّحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة*، ط ٢، دار النوفل، بيروت.

١١. سعيد، إدوارد (١٩٩٤)، *"المثقفون المنفيون: مغتربون وهامشيون"*، مجلة الآداب، العدد ٦-٧، السنة ٤٢، بيروت.

١٢. سويدان، سامي(٢٠٠٦)، *المتاهة والتمويه في الروايةالعربية*، ط١، دارالآداب، بيروت.

١٣. شاخت، ريتشارد (١٩٨٠)، *الاغتراب*، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

١٤. الشاروني، يوسف (١٩٥٤)، *الحي اللّاتيني عرض وتحليل*، مجلةالآداب، مجلد ٢، العدد ٤.

١٥. الشّملي، سهيل (١٩٩٨)، *البطل في ثلاثية سهيل إدريس*، ط ١، دار الآداب، بيروت.

١٦. شايد، كريستن (٢٠٠٠)، *الحيّ اللّاتيني بعد ٧٠ ألف نسخة: الجنس، الكذب، الإبداع*، مجلة الآداب، العدد ٩/١٠.

١٧. الصيداوي، رفيف رضا (٢٠٠٣)، *النظرة الروائية إلي الحرب اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٥*، ط ١، دارالفارابي، بيروت.

١٨. الطويل، د. توفيق و زايد، سعيد (١٩٨٣)، *المعجم الفلسفي*، المطبعة الأميرية بالقاهرة، مصر.

١٩. طرابيشي، جورج (١٩٩٧)، *«شرق وغرب...رجولة وأنوثة»، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية*، ط ٤، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧.

٢٠. ـــــ (١٩٨٢)، *عقدة أوديب في الرواية العربية، ط١، دارالطليعة*، بيروت.

٢١. طنوس، د. جان نعوم (٢٠٠٩)، *صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر*، ط ١، دارالمنهل اللبناني، بيروت.

٢٢. العبد الله، يحيي (٢٠٠٥)، *الاغتراب: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية*، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٢٣. النوري، قيس (١٩٧٩)، *الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعا*، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ١٠، العدد ١.

٢٤. وطفة، أ.د. علي أسعد (٢٠٠٨)، *الاغتراب خارج حدود الايديولوجيا*، مجلة الدراسات، سبتمبر– ديسمبر، العددان ٢٢–٢٣، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.

٢٥. ياسين، طالب علي محمد (١٩٩٢) *الاغتراب: تحليل اجتماعي ونفسي لأحوال المغتربين وأوصافهم*، (د.ن)، عمان.

26. Idriss, Samah (1991*): Intellectuals and Nasserite Authority in the Egyptian Novel* (PhD. Dissertation), Columbia University, United states, p13.

27. Said, Edward (1993*) Culture and Imperialism*, vintage Books, NewYork, p71.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی